

كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقطي

الدكتور شاكر الفحام

٣

١ - وكان أبو محمد القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف ابن سليمان بن يحيى العوفي السرقطي (١) ثالث الأندلسيين الذين تصدوا لشرح غريب الحديث ، والتأليف فيه .

- ولد أبو محمد القاسم سنة ٢٥٥ هـ ، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) خامس أمراء البيت الأموي بالأندلس . وكان مولده بمدينة سرقطة (٢) : المدينة التي شهدت من قبل مولد أبيه

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية المنتمس : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٤٣٤ ، الصلة ١ : ١٢٤ ، التكملة ١ : ٢٣٦ ، معجم البلدان (سرقطة) ، بغية الرواة : ٢٠٩ ، ٣٧٦ ، طبقات ابن قاضي شبة (مخطوط) : ٢٣٦ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . وجاء في طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، « ثابت بن عبد العزيز » وأظنه سبق قلم ، تابعه عليه القفطي في إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، والفيروزآبادي في البلغة : ٤٦ ، ١٨٥ ، واضطرب الأمر على ابن قاضي شبة : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٤٧٥ ، فظنها اثنين وترجم لهما . وجاء في فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وفي مخطوطي الدلائل في المكتبة الظاهرية بدمشق وفي مكتبة متحف الأوقاف باستانبول : « عبد الرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان » .

(٢) ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، مخطوطنا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وذكر في بغية المنتمس : ٤٣٥ ، أنه ولد في سنة ٢٤٧ هـ

ثابت . وكان ثابت أبو القاسم من العلماء الأجلء ، ولد سنة ٢١٧ هـ أو نحوها ، وأقبل على الدرس والتحصيل ، وسعى لها في سرقطة وغيرها من مدن الأندلس ، حتى عرف بالعلم وعد من أهله ، وبأن فضله ، وكان حين ولد له ابنه القاسم في نحو الثامنة والثلاثين من عمره (١) .

- وينتمي أبو محمد القاسم إلى بني عوف من قبيلة غطفان ، إحدى قبائل قيس عيلان المشهورة ، ذكر ذلك ابنه ثابت بن القاسم (٢٨٩ - ٣٥٢ هـ) حين سأله الحكم المستنصر عن نسبه ، ولكن الحكم المستنصر لم يكتب بما سمع ، لما عرف به من حب الثبت والتوثق ، فسأل أبا يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي (٢) عن صحة النسب ، وكان زكريا ثقة مأموناً ، استقدمه الحكم ، وهو ولي عهد ، إلى قرطبة ، وسمع منه أكثر روايته ، فذهب زكريا بن خطاب إلى أن القاسم بن ثابت من البربر ، وأنه مولى لبني زهرة بن كلاب من قريش ، مولى علاقة (٣) ، وأن انباء البربر إلى ولاء زهرة بن كلاب في سرقطة وجهاها كثير جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ منهم ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي

- (١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقطة) ، بغية الوعاة : ٢١٠ .
- (٢) تطيلة : بالضم ثم الكسر ، وياه ساكنة ولام ، مدينة الأندلس من أعمال الثغر الأعلى ، بينها وبين سرقطة سبعة عشر فرسخاً ، خرج منها العرب سنة ٥٢٤ هـ ، (معجم البلدان - تطيلة ، تقويم البلدان : ١٨٠ - ١٨١ ، الروض المعطار : ٦٤ ، نفح الطيب ١ : ١٦٦ و ٤ : ٤٥٥) .
- (٣) قال ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولامان : ولاء عتاقة ، وولاء علاقة (فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطة الظاهرية) .

رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري أقام بتلك الجهات وقت افتتاح الأندلس . ثم يفسر زكريا بن خطاب نسبة العوفي التي عرفت بها أسرة قاسم ، بأن أبا القاسم وقع بينه وبين الذين كان يتولاهاهم كلام ، فحلف ألاّ ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمّم من ذلك فكتب : العوفي ، ولما قيل له : ما هذا يا أبا القاسم ؟ أجاب : أليس عبد الرحمن : ابن عوف ، وأنه من والي ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن (١) .

٢ - تقع مدينة سرقسطة (٢) مسقط رأس القاسم وأبيه في شرق الأندلس ، وكانت تعرف بالمدينة البيضاء ، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ، وتصفها كتب البلدان بأنها مدينة كبيرة ، من أطيب بلدان الأندلس بقعة ، وأكثرها ثروة ، حسنة الديار والمساكن ، واسعة الشوارع ، متصلة الجنات والبساتين « ناهيك من مدينة بيضاء ، أحدقت بها من بساتينها زمرودة خضراء ، والتفت عليها أنهارها الأربعة » . وكان الأندلسيون يطلقون على سرقسطة وجهاتها اسم الثغر الأعلى (الثغر الأقصى) ، وقد توسطت سرقسطة مدن الثغر ، وكانت أعظمها مدينة ، والمقصودة من جميع جهاتها ، فاستحقت بذلك أن تعدّه أمّ ذلك الثغر وقاعدته (٣) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٧٦ - ١٧٧ ، فهرست ابن خبير : ١٩٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥ و ٢ : ٦٣٢ ، طبقات ابن قاضي شبة : ٢٣٦

(٢) سرقسطة : بفتح السين المهملة والراء ، وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة (معجم البلدان - سرقسطة ، تقويم البلدان : ١٨٠) .

(٣) العذري : ٢١ - ٢٥ ، ٣٠ ، ١٨٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٠٥ ، المغرب ٢ : ٤٣٤ ، الروض المعطار : ٩٦ - ٩٨ ، نفح الطيب ١ : ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ و ٤ : ٤٦٠ ، المقتبس (ط . باريس) : ٢٠ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، تقويم البلدان : ١٨٠ - ١٨١

- خبث سرقطة وجهاتها في الفتنة أيام بني مروان ، وكثير المنتزون بها ، وكان من أقوى ثوار سرقطة في القرن الثالث الهجري موسى بن موسى ابن فرتون من بني قسي ، المتوفى سنة ٢٤٨ هـ ، وثار من بعده ولده لب بن موسى القسوي الذي تغلب على الثغر سنة ٢٥٧ هـ ، وملك سرقطة وتطيلة وغيرهما ، وأمر عمال الإمام محمد بن عبد الرحمن ، وقتل عرب سرقطة من قبائل شتى ، أخرجهم إلى بقيرة ، فقتلهم بها بمرج يعرف بمرج العرب ، وذلك في سنة ٢٦٠ هـ ، وخلفه في الفتنة أخوه إسماعيل بن موسى الذي جدّد بنيان مدينة لاردة سنة ٢٧٠ هـ ، وكانت جيوش بني مروان تغاديه القتال وتراوحه ، وكان بنو نجيب آخر من تداول حكم سرقطة حتى قام أمير المؤمنين الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) فأطفا نيران الفتنة ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها ، فأقرّ بني نجيب في ولاية سرقطة بعد أن نزعوا إلى الطاعة ، واستجابوا للجماعة (١) .

٣ - لم تقتصر الفتنة على سرقطة وماحولها ، بل عمّت أرجاء الأندلس كلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ولكنها ، على اتساعها واستشرائها ، لم تُلَقْ ظلالها الثقيلة البغيضة على الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، ومضى العلماء الأندلسيون يتابعون الخطا ليموا البناء الذي أسسه لهم من سبقهم ، وكانت حلقاتهم ومجالسهم حافلة بالطلاب ، عامرة بفقنوت

(١) العذري : ٢٩ - ٤٢ ، البيان المغرب ٣ : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٨٤ - ١٨٥ ، المقتبس (ط . باريس) : ١٦ - ١٧ ، ٢٠ - ٢١ ، ٨٥ - ٨٧ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، الروض المطار : ١٦٨ ، نفح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٣ .

العلم وضروب المعرفة . ولقد عني أبو القاسم ثابت بن حزم بابنه القاسم أتم عناية : أشرف على تنشئته ، وسهر على تعليمه ، وهياً له أن يتزود من علوم عصره بخير زاد ، حتى إذا استكمل حظه من الثقافة في حاضرة الثغر ، عزم الأب وابنه على الرحلة في طلب العلم ، وقصدا إلى المشرق فعل العلماء الأندلسيين الذين كانوا يتشوفون أبدأً إلى المشرق ، يردون منه المنهل العذب .

كان ذلك في سنة ٢٨٨ هـ ، وثابت الأب في نحو الحادية والسبعين من عمره ، وابنه أبو محمد القاسم في الثالثة والثلاثين من عمره . حقاً أنها قد نالا من ضروب الثقافة والعلم ما نالا ، وافتتتا في المعرفة ، ولكنها كانا يؤثران فني الحديث واللغة ، يخصانها بمزيد من العناية ، ويبالغان في طلبها والتحفتي بها ، وهامها ذان يقصدان إلى المشرق ليلبغا من هذين الفنين الغاية التي ما بعدها غاية .

كان أول خروجها إلى الحج ، فمكة مقصد كل أندلسي توجه إلى المشرق ، وقد لقيابكة العلماء والجلّة ، وسمعا منهم ، وأخذوا عنهم . نعد منهم : أبا محمد عبد الله بن علي بن الجارود (٣٠٧ هـ) ومحمد بن علي بن زيد الصائغ (الجوهري) (٢٩١ هـ) وأبا العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبا عمران موسى ابن هارون الجمال (٢١٤ - ٢٩٤ هـ) وأبا الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السيارى الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وأبا بكر جعفر بن محمد الفاريابي القاضي (٣٠١ هـ) وأحمد بن زكريا العابدي ، وإسحاق ابن أحمد الخزاعي (٣٠٨ هـ) وأحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن عامر الشعبي المعروف بالجتدي (٣٠٨ هـ) وخلف بن عمرو العكبري (٢٩٦ هـ) وإبراهيم بن سعيد

ابن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الخذاء المكي^(١) .

وجاءوا مصر وسمعا من جماعة من علمائها ، منهم : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢٢٥ - ٣٠٣ هـ) وأبو بكر محمد بن جعفر الربيعي البغدادي المعروف بابن الإمام (٣٠٠ هـ) ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي ، وأبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس الجرجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (٢٩٢ هـ) وأحمد بن حمزة بن محمد ابن هارون^(٢) ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري (٣١٢ أو ٣١٦ هـ)^(٣) .

وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخثني (٢٨٦ هـ) وعبيد الله ابن يحيى (٢٩٨ هـ) ومحمد بن وضاح (٢٨٧ هـ) ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة (٢٨٦ هـ) ومحمد بن عبد الله بن الغاز (٢٩٦ هـ) وأبي

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفتح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خبير : ١٩١ - ١٩٣ ، بغية الملتبس : ٤٣٤

(٢) عد ابن الفرضي (١ : ١١٩) أحمد بن حمزة من شيوخ قاسم وأبيه بمكة ، وتبعه ياقوت (معجم البلدان - سرقسطة) وابن فرحون (الديباج المذهب : ١٠٢) .

(٣) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفتح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، بغية الملتبس : ٤٣٤

عثمان سعيد بن خمير (٣٠١ هـ) وأبي بكر يحيى بن أصبغ بن خليل (٣٠٥ هـ) (١) .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد (٢٧٦ هـ) ويحيى بن إبراهيم بن مزين (٢٥٩ هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتيبي (٢٥٥ هـ) (٢) .

وسمعا بالثغر من محمد بن سليمان بن تليد (٢٩٥ هـ) وإبراهيم بن نصر الجهني السرقطي (٢٨٧ هـ) ومحمد بن أبي النعمان (٣) . وانفرد ثابت بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان ، وكان أحمد ممن روى عن مالك (٤) .
ويبدو من عبارة ابن الفرضي وياقوت أن قاسماً وأباه قد سمعا من الأندلسيين قبل بدء رحلتها في المشرق . وإن وفيات بعض شيوخها الأندلسيين لتؤكد هذه الرواية (٥) .

– قضى الأب وابنه في الرحلة ست سنوات ، لقياً فيها من لقيانم الشيوخ وكبار العلماء ، ورويا من ضروب المعرفة والعلم ما أشبع شغفها وتطلعها،

(١) مخطوطنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٢٥٦ و ٢ : ١٨٤ ، معجم البلدان (سرقطة) ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، وروى ابن الفرضي (١ : ٢٥١) حين جعل قاسماً وأباه يرويان ويسمعان من عبد الله ابن الغازي بن قيس (٢٣٠ هـ) .

(٢) مخطوطة الظاهرية .

(٣) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٢٠ ، ١١٩ ، معجم البلدان (سرقطة) .

(٤) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٣٤ و ٢ : ١٨٠ ، الديباج المذهب : ٣٧ ، ٣٥٥ .

(٥) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، معجم البلدان (سرقطة) .

ولكنها عُنِيَا ، في هذه الرحلة ، أكثر ما عُنِيَا بجمع الحديث واللغة ، ولقاء رجالهما ، وانصرفا إلى الثغر سنة ٢٩٤ هـ ، وقد أدخلوا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنها أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكانا قد انتسخاه بمكة^(١) .

٤ - انصرف قاسم إلى العلم الانصراف كله ، لا يشغله عنه شيء ، وفتحت له رحلته وأسميته^(٢) آفاقاً من العلم رحبية ، وكان ، إلى علمه وأدبه ، ورعاً تقياً ناسكاً ، عزف عن مباحج الدنيا ، وأشاح بوجهه عن مناصبها ، ولم يرض لعلمه أن يكون وسيلة يتقرب بها إلى السلطان : أريدَ على أن يلي قضاء سرقطة فامتنع ، وتأتى ، ولما أُلح عليه وكاد يُكره على قبوله وافاه الموت منقذاً . وقد أتاحت له فطرته تلك أن يتفرغ للهدف الذي قصد إليه ونصب نفسه له : كان عالماً بالحديث والفقه ، متقدماً في معرفة الغريب والنحو والشعر ، واسع الرواية ، اطلع على صنيع أبي عبيد القاسم ابن سلام ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في غريب الحديث ، فرأى أن ينهض بعبء إكمال مابدهآه ، واستيفاء ما فاتها وغاب عنها ، فألف كتاب الدلائل في شرح الحديث ، بما ليس في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(٣) . وبلغ فيه الغاية في الإتقان

(١) مخطوطنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خبير : ١٩١ ، ١٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، معجم البلدان (سرقطة) ، إنباء الرواة ١ : ٢٦٢ ، المزهر ١ : ٨٣

(٢) درج علماء الأندلس على جمع « سماع » على « أسمعة » .

(٣) وم صاحب بغية الملتبس : ٢٣٨ ، إذ وصف عمل قاسم في الدلائل بأنه ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابي ، والدلائل قد ألف قبل تأليف الخطابي كتابه في غريب الحديث .

والتجويد ، حتى حسد عليه ، وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق . وإذ كانت رحلته ورحلة أبيه واحدة وسماعهما واحداً ، فقد ذكر آخرون أنها اشتركا في تأليفه ، واتفقا على جمعه . وفي الحق أن ثابتاً الأب « كان عالماً متفتناً ، بصيراً بالحديث والفقہ ، والنحو والغريب والشعر » ، وأن الأب وابنه كانا من أهل الفضل والورع والعبادة ، ولكن الموازنة بينهما انتهت بأصحاب التراجم إلى أن يروا أن « القاسم بن ثابت كان أعلم من أبيه وأنبى وأورع » وأن قاسماً هو الذي تصدى لتأليف كتاب الدلائل ، وفاجأ الموت القاسم بسرقسطة في شوال سنة ٣٠٢ هـ ، وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وهناك رواية تفردت بها مخطوطة الأوقاف تذكر أنه توفي في سنة ٣٠٦ هـ ، ولم يكن القاسم قد أكمل كتابه الدلائل حين وافاه الأجل ، فأكمه من بعده أبوه ثابت ، وقد طال به العمر حتى أقرأ الدلائل وحُمل عنه ، فقد عاش حتى الخامسة والتسعين أو نحوها ، وتوفي بسرقسطة في رمضان سنة ٣١٣ هـ ، وفي رواية : أنه توفي في سنة ٣١٤ هـ (١) .

٥ - عرف كتاب الدلائل في الأندلس وانتشر برواية ثابت بن قاسم بن ثابت .

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرطحي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خبير : ١٩١ - ١٩٣ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتبس : ٢٣٨ ، ٤٣٤ - ٤٣٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ - ٢٨٥ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، والعجب أن ابن فرحون قد ترجم لحفيده ثابت بن عبد الله المتوفى سنة ٥١٤ هـ وجعل من تصانيفه كتاب الدلائل (الديباج المذهب : ١٠٢ ، الصلة ١ : ١٢٤ - ١٢٥) .

ولد ثابت بسرقسطة ، بلد أبيه وجده ، سنة ٢٨٩ هـ ، ولم يشهد أبوه ولا جده ولادته ، إذ كانا قد بدآرحلتها إلى المشرق في سنة ٢٨٨ هـ ، وحين عادا من الرحلة إلى سرقسطة كان ثابت في نحو الخامسة من عمره ، فأشرفا على تعليمه ، وسمع منها وأفاد . وفقد ثابت أباه قاسماً في سنة ٣٠٢ هـ ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فأوى إلى ظلال جده لينعم برعايته وليغترب من معين علمه ، ونعم بجواره أحد عشر عاماً ، أخذ عنه فيما أخذ كتاب الدلائل الذي ألفه أبوه قاسم : قرأه عليه قراءة تدبر وتمحيص ، وصار من بعد يرويه عن أبيه إجازةً وعن جده قراءةً عليه . وكان ثابت في الرابعة والعشرين حين فارق جده الدنيا ، ليتفرد برواية كتاب الدلائل .

وكان ثابت بن قاسم مليح الخط ، جيد الكتاب ، إلا أنه كان مولعاً بالشراب ، فضعف . كان شديد الاعتزاز بكتاب الدلائل ، فأكب عليه يقرئه ويرويه ويكتب نسخاً منه ، ويذكر الحميدي أن له في كتاب أبيه زيادات . توفي ثابت في سنة ٣٥٢ هـ لستين خلطاً من حكم أمير المؤمنين المستنصر ، ودفن بسرقسطة وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة (١) .

(١) ابن الفرضي ١ : ١٢٠ : مخطوطنا الظاهرية والأوقاف ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتبس : ٤٣٤ ؛ فهرست ابن خبير : ١٩٢ ، ١٩٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) . وفي فهرست ابن خبير ١٩١ ، ١٩٢ ، أن قاسماً مات وترك ابنه ثابتاً صغيراً فلم يسمع منه الدلائل ، وإنما أجازته به . وعاش أبوه ثابت بن حزم حتى سمع منه حفيده ثابت ابن قاسم كتاب الدلائل قراءةً منه عليه . بينما يذكر ابن الفرضي (١ : ١٢٠) أن ثابتاً سمع من أبيه [القاسم] ومن جده [ثابت بن حزم] ، ويمكن الجمع بين روايتي ابن الفرضي وابن خبير بأن السماع في رواية ابن الفرضي لا يقصد به سماع كتاب الدلائل .

٦ - احتل كتاب الدلائل منزلة عالية بين كتب الغريب في الأندلس، فقد احتفل له مؤلفه القاسم بن ثابت أيمًا احتفالاً، يعينه على ذلك تمكنه من ناصية اللغة معاني وشواهد، ووقوفه على أسرارها. وإطلاعه الواسع على الحديث وفقه مشكلاته. ومن هنا فقد أورد في كتابه الدلائل من اللغة ما لم يورده أحد من أهل الأغرابة^(١). ويذكر الحميدي أنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن القاسم، ثم يعلل ذلك بقوله: «ولعله من أجل روايته إياه، وزيادته فيه نسب إليه، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه». ويعيد الضبي في كتابه رواية الحميدي ليعقب بأنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن حزم، وأن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ثابت^(٢). ومن هنا نجد في الكتب الأندلسية أمثال هذه العبارات: «روى عن ثابت بن قاسم كتاب الدلائل من تأليف جده»^(٣) بل نجد بعض المؤلفين يتسمحون فينسبون الكتاب إلى قاسم تارة وإلى أبيه تارة أخرى^(٤).

- مهما يكن فقد صح لنا من الروايات الثابتة الراجعة أن قاسم بن ثابت هو مؤلف كتاب الدلائل، وأنه مات قبل أن يتمه، فأكمله أبوه ثابت، ثم روي الكتاب من طريق ثابت بن قاسم بن ثابت^(٥).

وتطلب الأندلسيون الكتاب، وتدارسوه بينهم. يذكر أبو علي

(١) بغية الملتبس : ٢٣٨

(٢) جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتبس : ٢٣٨ ، وعبارة الضبي في في الأصل مضطربة .

(٣) الصلة ٢ : ٤٣١

(٤) النكمة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠ ، تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٥) جذوة المقتبس : ٢٩٩ ، فهرست ابن خبير : ١٩١

القالبي (٥٣٥٦) إمام اللغة في عصره أنه أخذ كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، إعجاباً منه بالكتاب ، ولم يكن ثابت عنده أهلاً للأخذ عنه . وطلب الحكم المستنصر من ثابت بن قاسم ، وكان حسن الخط ، أن ينسخ له بخطه كتاب الدلائل ، ففعل ثابت وأجاز للحكم روايته (١) .

— ولعله يحسن بنا أن نورد في صفة الكتاب وبيان فضله كلمة الإمام اللغوي الكبير أبي علي القالي ، يقول أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٥٣٧٩) صاحب طبقات النحويين واللغويين : «سمعت إسماعيل بن القاسم البغدادي [أبا علي القالي] يقول : لم يؤتف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب [القاسم بن] ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتاباً ألفت فيما لديكم ، ورأيت كتاب الحشني في شرح الحديث وطالعتُه ، فما رأيت صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب . ثم يعقب الزبيدي على كلمة أستاذه القالي فيقول : « ولو قال إسماعيل [أبو علي القالي] : إنه لم ير بأشرف كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددتُ مقالته ، على أن لأبي عبيد [القاسم بن سلام] في هذا الفن فضل السبق عليه » (٢) .

— وذكر أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق أنه سمع إسماعيل بن القاسم البغدادي [أبا علي القالي] يقول : كتبتُ كتاب الدلائل ، وما أعلم وضعاً بالأندلس مثله ، ثم يعقب على ذلك بأن القالي تعصب لأمشوق ، ولو قال : إنه ما وضع بأشرف مثله ما أبعد (٣) .

(١) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ : نفع الطيب ١ : ٣٩٥ ، مخطوطة الاوقاف

(٢) طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، مخطوطة الاوقاف

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

– وعرض للكتاب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم فأثنى عليه وقال :
 ما سآه أبو عبيد [القاسم بن سلام] إلا بتقدم العصر (١) .
 وأصبح الكتاب أثن تراث في أهل بيت قاسم بن ثابت ، يتوارثه
 الأبناء عن الآباء ، يروونه ويقرئونه في بلادهم بسرقسطة :
 خلف سعيد بن ثابت أباه ثابت بن قاسم في إقراء الكتاب وروايته ،
 ثم قام مقامه ابنه أبو إسحاق ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم ، فحدث
 عن أبيه سعيد بكتاب جده المعروف بالدلائل عن سلفه ، ثم جاء أبو محمد
 عبد الله بن ثابت بن سعيد ، فحدث بالدلائل (من تأليف جده الأعلى
 قاسم بن ثابت) عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى مؤلفها . ثم كان آخر
 من حدث من أهل بيته القاضي أبو القاسم ثابت بن عبد الله ، روى عن أبيه عن
 سلفه . فلما سقطت سرقسطة ببلده وبلد أهله من قبله ، في عام ٥١٢ (٢) ،
 وتغلب عليها العدو ، خرج عن وطنه ، وتوفي بقرطبة في سنة ٥١٤ هـ ،
 وكان نبيه البيت والحسب ، يفاخر أهل الأندلس بأوائل سلفه لعلمهم
 وفضلهم (٣) .

– واعتمد الأندلسيون الأصل الذي كتبه ثابت بن قاسم للحكم المستنصر ،
 فكانوا يرجعون إليه : يقابلون به ، أو يقابلون بأصل مقابل عليه (٤) .

– أما أعظم الرواة الذين انتشر كتاب الدلائل عن طريقهم فاثنتان ،

(١) جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتبس : ٤٣٤ ، والشأو : السبق ،
 شأوت القوم شأواً وشأيتهم شأياً : سبقتهم .

(٢) نفع الطيب ١ : ٤٤١ و ٤ : ٤٧٢ و ٧ : ٢٨ ، معجم البلدان
 (سرقسطة) .

(٣) الصلة ١ : ١٢٤ – ١٢٥ ، التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠

(٤) مخطوط الظاهرية ، التكملة ٢ : ٨١٦

أولهما : أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الصقلي الوراق الزاهد ، (٢٩٥ - ٣٧٩ هـ) وكان قد روى الدلائل قراءة عن ثابت بن قاسم بن ثابت (١) والثاني : غالب بن عمر المعروف بابن التياتي ، من أهل قرطبة . وهو والد الأديب اللغوي أبي غالب تمام بن غالب (٢) ، ويذكر ابن الفرضي (١ : ١٢٠) أنه أخبره بعض الشيوخ عن ثابت بن قاسم بالدلائل إجازة .

وانتشر كتاب الدلائل في الأندلس : كان مرجعاً للمحدثين واللغويين والأدباء والفقهاء ، فتداولوه بينهم وقدروه حق قدره . ويكفي أن نقرأ ما خصه به ابن خير في فهرسته (٣) لتتراءى لنا صورة الدلائل في الأندلس ، وما رزق من عناية الأندلسيين وعظيم اهتمامهم .

وكان أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار (٣٣٨ - ٤٢٩ هـ) : قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها ، من أشهر الرواة الذين روى كتاب الدلائل عن أبي الفضل عباس بن عمرو الوراق ، وكان الإمام العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) من أشهر رواة الدلائل عن أبي الوليد يونس بن عبد الله . وذكر الحميدي الأندلسي (٤٨٨ هـ) في كتابه جذوة المقتبس ، وقد ألفه ببغداد بعد رحيله عن الأندلس (٤) ، سمعته لكتاب الدلائل في الأندلس من أبي محمد بن حزم ،

(١) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، ٢٩٩ بغية الملتبس

٣١٧ - ٤١٨ . فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ ، جمهرة ابن حزم : ٧٩ ، ووقع فيها عباس بن محمد ، وصوابه : عباس بن عمرو .

(٢) الصلة ١ : ١٢٢ و ٢ : ٤٣١ ، فهرست ابن خير : ١٩٢

(٣) فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٤ .

(٤) رحل الحميدي عن الأندلس إلى المشرق عام ٤٤٨ هـ (جذوة المقتبس

١٢٨ ، ٣٤٦ ، بغية الملتبس : ١١٣) .

قال : « وأخبرنا أبو محمد [ابن حزم] بكتاب الغريب [الدلائل] كله لفظاً بالإسناد المذكور إلى قاسم بن ثابت المصنف له^(١).

٧- لم يقدر لكتاب الدلائل ، وقد بلغ هذا الشاؤ في تأليفه ، أن يصل مبكراً إلى أسماع المشاركة ، ونهض الخطابي في المشرق في القرن الرابع الهجري فألف في الغريب كتاباً يته به كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، ولو اطلع على الدلائل لعلم أنه قد سبق ، وظل الدلائل أمداً طويلاً مجهولاً في المشرق ، لم يفد منه أحد من مؤلفي الغريب واللغويين المشاركة . ولعل أول إشارة إليه تقع عليهما في كتب المشاركة ما ذكره شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (٦٦٥ هـ) فقد نقل عنه في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز^(٢) ، ثم نجد نقولاً عنه في كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (٧٦٢ هـ)^(٣) ، ونعثر من بعد على الإشارة تلو الإشارة في كتب المتأخرين : ذكره الحافظ محمد بن أبي بكر ابن ناصر

(١) جذوة المقتبس : ٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، الصلة ٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٦٤٦ - ٦٤٧ ، بغية الملتبس : ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ، فهرست ابن خبير : ١٩١ ، ١٩٢ ، والإسناد الذي عناه الحميدى : « ابن حزم ، عن ابن مغيث ، عن العباس بن عمرو ، عن ثابت بن قاسم بن ثابت السرقطي عن أبيه » . (جذوة المقتبس : ٢٩٩)

(٢) المرشد الوجيز : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣

(٣) نصب الراية ١ : ٢٣٩ ، ٢٨٦ ، ١٩٧ : ٢ ، ٣١٨ ، ٣ : ١٦٥ ،

٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٤ : ١٥٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٤٠٨

الدين الدمشقي (٨٤٢ هـ) في كتابه التوضيح^(١) ، والحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني : ابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابه : تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير^(٢) والاصابة^(٣)

٨ - انفردت مخطوطة الأوقاف في الترجمة التي خصت بها قامماً بذكر كتاب ثان ألفه قاسم وهو كتاب الرطب^(٤) ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع شتى من المعاني . وتناول هذا الكتاب محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، فاحتمل فيه على طريقة اسحاق بن إبراهيم الموصللي (٢٣٥ هـ)^(٥) في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار وموالدهم وبلدانهم وأخبارهم وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

- للبحث صلة -

(١) الإكمال لابن ماكولا ١ : ٩٣ ، فقد نقل مصححه الشيخ عبد الرحمن الباني في هامش الصفحة عن التوضيح حديثاً حدث به القاسم بن ثابت العوفي في كتابه الدلائل .

(٢) تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٣) الاصابة ٥ : ٥٥ (ترجمة عيينة بن حصن)

(٤) رجحت هذه القراءة ، وقد تحتمل الكلمة وجهاً آخر .

(٥) انظر ترجمة أبي محمد اسحاق بن إبراهيم الموصللي في كتاب الاغاني لأبي

الفرج ٥ : ٢٦٨ - ٤٣٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ - ٣٤٥